المقاصد والفتوى فى جمهورية كازاخستان

أ. د/ عبد الستار دربسالى

المفتى العام لمسلمى كازاخستان

كازاخستان

١ ــ فكرة المقاصد من أهم الأسس الإسلامية للحياة. إن الدين يكون مرتبطًا بالحياة وموجهًا للمجتمع، نحو الخير والسعادة والسلام والتقدم. جمهورية قازاقستان فى آسيا الوسطى، بلاد التركستان، أكبر دول الاتحاد السوفييتى سابقًا، وقريبة عهد بالاستقلال، استقلت سنة ١٩٩١م، وحققت تقدمًا كبيرًا فى كل المجالات فى إطار رؤية واضحة، وهى دولة متعددة الأعراق، عدد سكانها حاليًا يقترب من ١٦مليونًا، وفيها ١٣٠ قومية، ونسبة القازاق منهم ٥٨.١ % تقريبًا، وفى داخل بلادنا لا يعيش المسلمون الذين يشكلون نحو ٧٠% من السكان وحدهم، تضم البلاد ٣٠% من أبناء معتقدات أخرى، فى مقدمتها المسيحية واليهودية. والتسامح الدينى يسود الجميع، يضاف إلى هذا كله أن لبلادنا علاقات قوية مع أوروبا، وهناك تعاون قوى مع روسيا، وعلاقات تجارية مع الصين، وصلات مع العالم الإسلامى. وفى هذا كله هناك ظروف جديدة تتطلب رؤية واضحة لقضايا الواقع. ومن هنا أهمية مراعاة فكرة المصالح عند النظر فى أى موضوع منها، حرصًا على المسلمين وتقدمهم ومستقبلهم فى الإطار العالمى الجديد مع احترام نظام الدولة. وكل القازاق مسلمون والحمد لله، يتبعون فى الفقه المذهب الحنفى، ونظرًا لحاجة المسلمين فى قازاقستان إلى معرفة أحكام دينهم، تبرز أهمية فكرة المقاصد ودور الفتوى.

٢ ــ قبل سنة ١٩٩٠م كانت الفتاوى للمسلمين محدودة، كانت الفتوى مركزة فى الإدارة الدينية فى طشقند، وكانت قازاقستان تتبعها وكانت تتناول بعض أمور العبادات. وبعد استقلال الإدارة الدينية لمسلمى قازاقستان سنة ١٩٩٠م أصبحت هى الجهة المختصة بالإفتاء، وليست هناك جهة أخرى لذلك فى جمهورية قازاقستان. والمفتى العام هو رئيس الإدارة الدينية لمسلمى قازاقستان.

٣ ــ إن الإدارة الدينية تُشرف على كل المساجد وعددها أصبح أكثر من ألفين وثلاثمائة، والأئمة يتعاملون بشكل يومى مع الناس، وأنشأت الإدارة الدينية معهدًا إسلاميًا يقوم بتنفيذ دورات للأئمة العاملين، كما تتعاون الإدارة الدينية مع الدول الإسلامية. ــ جامعة نور مبارك ــ شكلا

للتعاون بين مصر وقازاقستان، وهناك تعاون مع تركيا، والمملكة العربية السعودية،ودولة الإمارات العربية المتحدة، بالإضافة إلى التعاون مع جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا. وفكرة المقاصد مهمة جدًا فى الردّ على الاستفسارات وعلى أساس خبرة هذه الدول فى المسائل المعاصرة.

٤ ــ قديمًا كان أكثر المسلمين يتحرج من الفتوى، قال الله عز وجل: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ (النساء: ١٧٦)، أى يستعلمون منك، فقل لهم: الله يعلمكم الحق ويدلكم عليه. وقديمًا قال العز بن عبد السلام ــ رحمه الله ــ: الشرعُ كالطب، فالطب وُضع لسلامة الأبدان، والشرعُ وَضِع لسلامة الأديان. فإذا كنا نهتم بالجسم؛ لأجل الصحة والحياة السعيدة، ونحتاط لذلك؛ بإعداد الطبيب الجيد، والاستفادة بخبرات الآخرين فى ذلك، والبحث عن الطبيب المُتخصص باهتمام عند الحاجة، فمن باب أولى نكون أكثر اهتمامًا بشريعتنا، وإعداد العلماء المتخصصين فى العلوم الإسلامية المختلفة، والاستفادة بخبرات الآخرين فى ذلك، لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣). ومن هنا الوعى بأهمية احترام التخصص؛ لأن الإهمال فى ذلك قد يؤدى إلى مضاعفة المشكلة أو تأخير الحل، أو الضلال بتحريم الحلال، أو تحليل الحرام وإغفال صالح الفرد والمجتمع. المقاصد هنا جانب مهم فى الرأى الدينى والحياة.

٥ ــ إن مراعاة المقاصد أساس مهم فى تاريخ الإسلام فى بلادنا ونذكر بعض أمثلة: كتاب الهداية للمرغينانى كان أساس تعليم الدين، ولكنا نجد أيضًا الفتوى للكردرى، وكلاهما من آسيا الوسطى. وكان رجال الدين ينظرون أيضًا فى كتب الفتاوى فى دول كثيرة من العالم الإسلامى للإفادة من ذلك كله من أجل المصالح برؤية دينية سليمة. على علماء المسلمين أن يُراعوا احترام التخصص أيضًا، لمعرفتهم بخطورة الفتوى وما يترتب عليها. ومن هنا كان دور المقاصد مهمًا فى الفتوى من أجل الحياة على أساس دينى واضح.

٦ ــ نظرًا لأهمية رأى الدين، قال النبى ﷺ: **[من يرد الله به خيرًا يفقه فى الدين]**. وهناك شروط يجب أن تتوافر فى من يُعين فى مثل هذه الوظيفة، فى مقدمتها الخوف من الله، وذلك بنية سليمة مخلصة لدين الله، مستحضرة مراقبة الله دائمًا دون سواه، حتى يضع الله له قبولاً ونورًا فى الدنيا والآخرة. ولذلك يقول مجاهد ــ رحمه الله ــ: "**إنما الفقيه من يخاف الله ويكون فى الوقت نفسه مدركًا للمقاصد الدينية ولظروف الحياة المعاصرة**".

٧ ــ إن المقاصد تتناول قضايا معاصرة، ولا تتناول قضايا تاريخية. هدف الفتاوى معرفة رأى الدين فى مسائل معاصرة. وعلى المفتى أن ييسر على الناس فى فتواه، فالشريعة الإسلامية

من أهم مقاصدها التيسير والتخفيف على الناس، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ويقول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، ويقول: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة: ٦). ويتطلب ذلك حفظ آيات وأحاديث الأحكام حتى تصدر الفتوى على أساس. المفتى يُشترط فيه أن يكون عالمًا بالكتاب والسنة، أى بالأحكام الخاصة بالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والجنايات والقضاء والشهادة، كما يكون عمله واعيًا بفكرة المقاصد وبظروف الحياة.

٨ــ يجب على من يتصدى للعمل الدينى أن يعرف واقع الناس وحياتهم ومشاكلهم ومكرهم وخداعهم، مثل الطبيب الذى عليه أن يعرف الأمراض الجديدة وكيفية علاجها، أما إذا حصر نفسه فى المشاكل والمسائل القديمة وجمد على ذلك فإنه لن يستطيع مخاطبة الأحياء، ويكون كالطبيب الذى عرف الأمراض القديمة وطرق علاجها ووقف عند ذلك، ومسائل المجتمع متغيرة. قد يتطلب موضوع ما بحث المسألة من الناحية العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو التربوية إلى جانب البحث عن الحكم الفقهى، ولذا قيل: إن الحكم على الشىء فرع عن تصوره. ولا يكون ذلك إلا بالقراءة الكثيرة المتنوعة، وبمتابعة ومعايشته واحتكاكه المستمر لواقع الناس، وأن لا يعيش فى عزلة عن عصره.

٩ــ لا يجوز لأحد أن يفتى إلا بعد أن يعرف أقوال العلماء فى ظروف عصورهم وبلدانهم، ويعرف معاملات الناس فى الماضى والحاضر. فإن سئل عن مسألة يعلم أن العلماء الكبار الذين تذكر مذاهبهم قد اتفقوا عليها، فلا بأس بأن يقول: هذا جائز وهذا لا يجوز، ويكون قوله على سبيل الحكاية، وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها فلا بأس بأن يقول هذا جائز فى قول لفلان ولا يجوز فى قول فلان. لا بد للاجتهاد من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمؤول والعلم بعادات الناس وعرفهم. وأما من يحفظ أقوال المجتهدين فليس بمفتٍ على الحقيقة إنما هو مجرد ناقل لا يعرف ظروف الحياة المعاصرة، وفتواه ليست حقيقية.

١٠ــ الإفتاء فى قازاقستان وآسيا الوسطى بصفة عامة يتم وفقًا للمذهب الحنفى، وتعتمد الفتاوى على أقوال أبى حنيفة وصاحبيه رحمهم الله. وفقهاء الحنفية قسموا المسائل على ثلاث درجات ليختار المفتى عند التعارض. إن مسائل الأصول هى مسائل ظاهر الرواية التى هى مروية عن كبار أصحاب المذهب وهم الإمام أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد. وكتب ظاهر الرواية هى المبسوط والجامع الصغير والكبير والسير الكبير والصغير والزيادات وكلها تأليف محمد بن

الحسن الشيبانى، ومن مسائل ظاهر الرواية كتاب الكافى للحاكم الشهيد، وهو كتاب معتمد فى نقل المذهب، وشرحه جماعة منهم الإمام السرخسى وهو المشهور بمبسوط السرخسى.

١١ــ الحياة متغيرة والمقاصد الأساسية ثابتة، أما الواقعات فإنها هى مسائل استنبطها المتأخرون من أصحاب أبى يوسف ومحمد وأصحاب أصحابهما ونحوهم وهلم جرا. إن الواقعات كثيرة. وأول كتاب جُمع فى فتاواهم كتاب النوازل لأبى الليث، ثم جمع الفقهاء بعده كتبًا أخرى كمجموع النوازل والواقعات للناطفى والصدر الشهيد، ثم ذكر المتأخرون هذه المسائل مختلطة، كما فى فتاوى قاضيخان. وميز بعضهم كما فى محيط السرخسى، فإنه ذكر أولاً مسائل الأصول، ثم النوادر، ثم الفتاوى.

١٢ــ هذه الكتب مهمة، ولكن قد لا يجد الإنسان المعاصر ومن يُفتى فى المسائل الحادثة جوابًا ولا مثيلاً فى كتب فقهاء الحنفية وهذا كثير الآن، فالحياة متغيرة، والفتاوى تطلب فى أمور كثيرة لم تكن فى الماضى. وعلى المفتى أن يجتهد فى معرفة الجواب من الأدلة المعتمدة فى المذهب الأقوى فالأقوى. ويجوز التوقف فى الفتوى إذا تعارض الدليلان.

١٣ــ المسائل التى تُعرض على الإدارة الدينية لطلب الفتوى فيها كثيرة ومتنوعة، تشمل أكثر أبواب الفقه تقريبًا، وذلك مثل الكبائر وأنواعها، ومعنى الحلال والحرام، وأحكام الصلاة فى جماعة بين أشخاص مختلفى المذاهب، وأحكام صلاة عيد الفطر، وكذلك صلاة عيد الأضحى، وأحكام الأضحية، وأحكام الجنائز والمقابر ونقل الموتى، وإهداء الثواب إليهم، وأحكام يوم القيامة، وأحكام الدعاء، وأحكام الصيام وصدقه الفطر، وكيفية ثبوت الأهلة، وحكم طلب العلم بالنسبة للنساء، وأحكام الزكاة، وأحكام الحج والعمرة وزيارة قبر الرسول ﷺ والصلاة فى مسجده. وزادت الاستفسارات فى السنوات الماضية عن الزكاة. إن أحكام الزكاة موضوع اجتماعى مهم، ويختلف من مجتمع لآخر طبقًا لظروفه الاقتصادية ومصادر الدخل وأوجه الإنفاق.

١٤ــ تتناول بعض الفتاوى موضوعات مثل الشبهات المثارة حول القرآن، وحكم قراءة القرآن والفتوى والعبادة بغير اللغة العربية، وأحكام الأطعمة والذبائح المختلفة، ومعنى السنة وأنواعها، وأحكام المشروبات، وأحكام الوصية والميراث، وأحكام غير المسلمين، وأحكام الزواج والطلاق والخلع. وفى هذا كله فإن فكرة المقاصد مهمة عند بيان رأى الدين.

١٥ ــ هناك قضايا معاصرة مثل الرأى من جماعات مثل البهائية والأحمدية

والإسماعيلية وحزب التحرير وحكم ما يفعله بعض الصوفية، وأحكام الدعاوى والبينات، وحكم الاستنساخ، وأنواع القتل وأحكامه، وحكم التداوى بالمحرمات، وحكم الصور والتماثيل، وفكرة المقاصد أساس مهم فى بيان رأى الدين.

١٦ــ تتناول بعض الفتاوى استفسارات عن معنى الإسراء والمعراج وما حدث فيهما، وحكم دخول كنائس النصارى، وأحكام البيوع والإيجارات، وأحكام السحر، وأحكام السباق. والأعياد الدينية وترجمة معانى القرآن الكريم. وهناك أسئلة ترد عن مفاهيم وجماعات دينية سياسية. وهنا تكون فكرة المقاصد والحياة والتقدم أساسًا للرأى الدينى البعيد عن التطرف والتشدد.

وفى هذا كله تنظر الإدارة الدينية لمسلمى قازاقستان وتبحث كل موضوع فى ضوء آراء الفقه والمقاصد والواقع المعاصر، ومن هنا كانت أهمية فكرة المقاصد ودور الفتوى فى الحياة المعاصرة. وهذا موضوع دقيق ومهمم؛ لأن بلادنا تمر منذ الاستقلال بمرحلة إعادة بناء على أسس معاصرة مع احترام للدين وحرص على الربط الواعى بين الدين والحياة.